- حركة التجديد في الشعر.

النص 04 / يقول صلاح عبد الصبور في قصيدة

هجم التتار.

ودموا مدينتنا العريقة بالدمار
رجعت كتائبنا ممزقة، وقد حمي النهار
الراية السوداء والجرحى، وقافلة موات
والطبلة الجوفاء، والخط الذليل بلا التفات
وأنين جندي يدق على الخشب
لحن الشغب
والبوق يثسل في انبهار
والأرض حارقة كأن النار في قرص تدار
والأفق مختنق الغبار
وهناك مركبة محطمة تدور على الطريق
والخيل تنظر في انكسار
الأنف يهمل في انكسار
العين تدمع في انكسار
والأذن يلسعها الغبار
والجند أيديهم مدلاة إلى قرب القدم
فمصانهم محنية مهيوغة بتشار دم
والأمهات هرين خلف الربوة الدكناء من هول الحريق
أو هول أنقاض الشقوق
أو نظرة التتر المحملقة الكريهة في الوجوه
أو أكفهم تمتد نحو اللحم في نهم كريه
زحف الدمار والانكسار
والبدتي! هجم التتار.

شرح الأبيات

يصوّر "صلاح عبد الصبور" في قصيدته "هجم التتار" الواقع العربي المرير ما بين الهزيمة والانكسار، ويرمز للعدو فيها بالتتار الذين دخلوا بغداد وأباحوها للنهب والحرق والتدمير حين كانت حاضرة الخلافة العباسية في فترة من أقسى فترات الضعف العربي، لينهزم العرب والمسلمون، تاركين مدينتهم للتتار يعيثون فيها فسادًا، فتلك الفترة تشبه إلى حدّ بعيد الوقت الراهن في البلاد العربية بكل انكساراته وخيباته.

تحليل القصيدة:

1- سيميائية العنوان: هجم التتار.

- الصيغة النحوية: جاء العنوان جملة فعلية، فعلها ماضٍ، الفاعل فيها ظاهر غير مستتر، وهذا علامة دالة على أن الشاعر بصدد تعريف المتلقي بالقائم بفعل الهجوم.
والجملة هنا واضحة، إنه هجوم الأعداء الذي يؤدي إلى الخراب والانكسار.

- لكن ونحن بصدد قراءة العنوان كعلامة، ينبغي علينا تجاوز بنيته السطحية الجاهزة إلى الدلالة العميقة، وهذه الدلالة لن تتبدى لنا إلا من خلال استجلاء مضامين النص وتقصي العلاقة بين العنوان والمتن.

- فمن لفظة (التتار) نتساءل هل هي تعني ذلك الجيش الذي غزا أرض العراق في العصر العباسي وأتى على الأخضر واليابس، أم أنها تعني شيئًا آخر؟.

- لعلّ التتار بما عرفوا به من نهب وسلب ودمار أصبحوا يمثلون رمزًا لكل استعمار مرتبط بأعمال التدمير والتخريب عبر الأزمنة، ومن ثم فإن الشاعر لا يقصد هنا التتار الذين يمثلون الهجمة الوحشية على العرب قديما وإنما يقصد امتداد هذا الاستعمار التخريبي في عصرنا الحديث.

التتار ← امتداد ← الاستعمار ← الضحية ← العرب

التتار ← هجوم ← تخريب ← دمار

العرب ← النتيجة ← انهزام + انكسار ← مادي + معنوي

2- سيميائية العتبات:

بدأ الشاعر قصيدته بفعل ماض (هجم) يهيئ القارئ لسماع خبر أو قصة، فاستهل أسلوبا سرديًا، قدم من خلاله صورة العدو الذي استعمر العرب على مر السنين في شكل قصة

وهكذا استهل الشاعر نصه بفعل الهجوم، لتوالى بعده أفعال لا تنتهي دلالتها عن هذا الفعل (رموا، حمي، ينسل، تدمع، هدم، اغتنفت هزيمتي.

3- سيميائية الألفاظ

جاءت ألفاظ القصيدة بسيطة ومتداولة، علامة دالة على أن لغة الشاعر لغة شعرية بسيطة أو ما يمكن أن نطلق عليه لغة الشعر اليومية، تقترب من لغة النثر التي يستخدمها الجميع.

أما دلالة الألفاظ فإنها لا تحدثنا عن ماهية الاستعمار ولا من حيث أتى، ولكنها تركز على المظاهر المادية المترتبة عن أفعاله الوحشية من تمزيق وتدمير وجثث وقوافل الجرحى، وتمثل ذلك:

الآثار المادية والمعنوية المترتبة عن الأفعال الوحشية للاستعمار:
- الدمار
- كتائبنا ممزقة
- الجرحى
- السقف
- الأضحيات هربن
- الرعب

- الشاعر في نصه ومن خلال ألفاظه لم يتحدث عن قضية خاصة بل أراد تعميم القضية، فالمصاب طال كل العرب، لذلك جاءت الألفاظ مرفقة بالضمير (نا) الجمعي.

الألفاظ مرفقة بالضمير (نا) الجمعي علامة دالة على أن المصاب عام:
- مدينتنا
- كتائبنا
- رفاقنا
- شارعنا
- بيوتنا

- وظف الشاعر ألفاظا تدل على الموروث التاريخي

- المدينة العريقة
- الراية السوداء
- الكتائب الممزقة
- الخيل.

- كما استخدم الألفاظ التي تدل على الألوان والتي تمثل علامة لها دلالة

فمثلما يدل الأبيض على الفرحة والصفاء، يمثل الأسود علامة دالة على الحزن والكآبة

الراية ← سوداء
الجرحى ← لون دمهم أحمر
الغبار ← داكن
الظلمة ← سوداء

علامة دالة على الحزن والهزيمة والانكسار.

- الحقول الدلالية:

حقل الحرب: هزيمة، دمار، راية سوداء، جرحى، جندي، حطام

حقل الموت: قافلة موات، دم، بكاء، العين تدمع، السعلاة.

حقل المكان: مدينتنا العريقة، قريتنا، وابلدتي، شارعنا العتيد، مركبة، بيوتنا الدكناء.

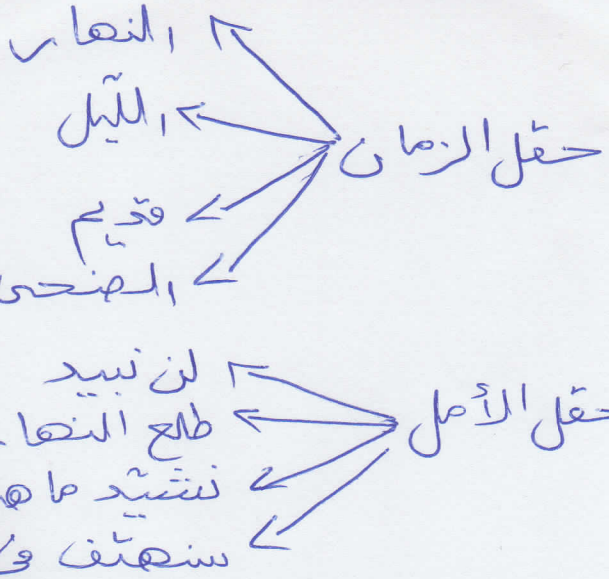

رغم أن لغة الشاعر كانت بسيطة، غير أن هذا لم ينفي تمكن الشاعر وقدرته على توصيل فكرة عميقة للمتلقي وذلك بعزف إيقاعية هذه الألفاظ وعمقها.

سيميائية الفضاء: سنقتصر على الفضاء النصي للقصيدة، حيث جاءت مكتوبة بخط عادي لا تنويع فيه، تركزت أسطرها الشعرية في وسط الصفحة وهناك تفاوت في طول الأسطر الشعرية.

أما علامات الترقيم: فقد مال عبد الصبور إلى الاستعانة ببعض علامات الوقف (الفاصلة، علامة التعجب، علامة الاستفهام، النقاط المتتابعة...)

الفاصلة في قوله: الراية السوداء، والجرحى، وقافلة موات
والطبلة الجوفاء، والخطو الذليل

وتدل على استراحة مؤقتة، والشاعر هنا يصف "الوهف"، لذلك توالت الألفاظ في تسلسل

النقاط المتتابعة: أمّاه قولي للصغار... أيا صغار..
ونشيد ما هدم التتار.

فتدل هذه النقاط على كلام محذوف، ويترك للمتلقي توقع تلك الأقوال.

الانزياح:

إن مستوى الانزياح في هذه القصيدة يكمن في كناياتها واستعاراتها مثل: (لحن السغب، زحف الدمار، الأذن يلسعها الغبار، اعتنقت هزيمتي

وهي استعارات مكنية.

كما يكمن الانزياح في القصيدة في تشكيلها الشعري بشكل عام، فبساطة الكلمات التي تمثل هذا التشكيل وانزياحها النسبي عن المعنى القاموسي الذي وضعت له أصلا، لا يخرج عن المعنى المألوف، بقدر ما يتحدد بتحدد الحدث، كما هو الشأن في العنوان

(هجم الثار)، فالفعل "هجم" لم يتغير مدلوله اللغوي، لكننا عندما ننشئ جملة (هجم الثار)، فالفعل أصبح يؤدي معنى بعينه في مكان وزمان معينين وحين نعود وننشئ هذه الجملة في زمان ليس زمان الثار يظل المعنى قائما ولكن في سياق آخر، تدل عليه صفات ذلك المسمى.

التكرار: يلجأ الشاعر إليه كثيرا، ليحمل عنه ما تحتاجه من شحنات عاطفية مثل: الدمار، الانكسار .... فمثلا تكرار لفظة الانكسار يسهم في تعميق الحالة الشعورية من دمار وغضب وحقد وكذلك توالي في جمل قصيرة متوالية لتصوير الانفعال الحاد بهذا المشهد.